الإسلام السياسي: التأثيرات الفكرية والمعرفية على الحركات السياسية المعاصرة – حركة المقاومة الاسلامية «حماس» في فلسطين أنموذجاً

د. ديمة فايق أبو لطيفة

قسم العلوم الشرطية، كلية القانون، جامعة الاستقلال، فلسطين.

Dr. Dema Faiq Abu Latifa

Department of Police Sciences, Faculty of Law, Al-Istiqlal
University, Palestine.

dema_latifa@outlook.com

Political Islam: Intellectual and Epistemological Influences on Contemporary Political Movements – The Islamic Resistance Movement “Hamis” In Palestine as a Model

Abstract

This study addresses the topic of intellectual and epistemological transformations within political Islam by conducting an in-depth analysis of key concepts such as the state, citizenship, and political participation, as manifested in the discourse of contemporary Islamic movements, with a particular focus on the Islamic Resistance Movement, “Hamis” as a case study. The core research problem lies in understanding how Islamic movements have been influenced by these epistemological shifts and their ability to transition from a totalizing ideological discourse to a more pragmatic approach.

The study is driven by several central questions, including: What is the nature of the intellectual transformations in political Islam? To what extent are these transformations reflected in the discourse and practices of Islamic movements, and to what degree can the Hamis model be considered an indicator of epistemological shifts within resistant political Islam?

The research aims to achieve several objectives, the most important of which are: analyzing the intellectual structure of political Islamic discourse, exploring the shift toward political pragmatism, and testing the hypothesis of epistemological evolution through the case of Hamis. The study adopts a critical analytical method, in addition to discourse analysis and the comparative historical approach.

The study reached significant findings, most notably that the Hamis movement has demonstrated a clear epistemological shift in its discursive structure—from a rigid ideological tone (as represented in its 1988 Charter) to a more pragmatic political discourse (as seen in the 2017 Document). This confirms the dynamic adaptability of political Islam to the conditions of the modern state. Moreover, the movement presented an institutional vision for governance, encompassing 18 administrative, legislative, and economic pillars. This reflects its readiness to engage with the state as a civil system, not merely as a tool for resistance. This was particularly evident in the analysis of Hamis’s 2006 electoral platform.

The study recommends that future research focus on the internal epistemological structures of Islamic movements by analyzing the concepts embedded in their discourse

and programs, such as statehood, resistance, and citizenship, to transcend superficial political analyses toward deeper epistemological approaches. It also emphasizes the need to develop interdisciplinary methodological tools that combine political discourse analysis, political anthropology, and the objectives of Islamic jurisprudence (maqāṣid al-sharī'a) to understand Islamic movements not merely as political actors, but as living intellectual projects undergoing constant transformation.

Keywords: *Political Islam, epistemological transformation, pragmatism, Hamas, Islamic state, contemporary Islamic thought.*

ملخص

يتناول هذا البحث موضوع التحولات الفكرية والمعرفية في الإسلام السياسي، من خلال تحليل عميق لمفاهيم الدولة، والمواطنة، والمشاركة السياسية، كما تتجلى في خطاب الحركات الإسلامية المعاصرة، مع التركيز على أنموذج حركة المقاومة الإسلامية «حماس». وتكمن مشكلة الدراسة في فهم مدى تأثير الحركات الإسلامية بالتحولات الفكرية والمعرفية، وقدرتها على الانتقال من الخطاب الشمولي إلى البراغماتي. وانطلقت الدراسة من مجموعة من الأسئلة الرئيسية، أبرزها: ما طبيعة التحولات الفكرية في الإسلام السياسي؟ وما مدى انعكاسها على خطاب وممارسة الحركات الإسلامية؟ وإلى أي مدى يمكن اعتبار أنموذج حماس مؤشراً على تحولات معرفية داخل الإسلام السياسي المقاوم؟ سعت الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، أهمها: تحليل البنية الفكرية لخطاب الإسلام السياسي، دراسة التحول نحو البراغماتية السياسية، واختبار فرضية التطور المعرفي من خلال حالة حركة حماس. واعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي النقدي، ومنهج تحليل الخطاب، إضافة إلى المنهج التاريخي المقارن.

توصلت الدراسة إلى نتائج مهمة، أبرزها أن حركة حماس أظهرت تحولاً معرفياً واضحاً في بنيتها الخطابية من الطابع الأيديولوجي المغلق (كما في ميثاق 1988) إلى خطاب براغماتي سياسي (كما في وثيقة 2017)، وهو ما يُثبت القابلية الديناميكية للإسلام السياسي للتكيف مع شروط الدولة الحديثة، كما أن الحركة قدّمت تصوراً مؤسسانياً لعمل الحكومة، شمل 18 محوراً إدارياً وتشريعياً واقتصادياً، وهو ما يعكس استعدادها للتعامل مع الدولة بوصفها نظاماً مدنياً لا مجرد أداة للمقاومة. كما في تحليل البرنامج الانتخابي لحماس (2006).

وأوصت الدراسة بالتركيز في الدراسات المستقبلية على البنية المعرفية الداخلية للحركات الإسلامية، وذلك عبر تحليل المفاهيم التي تستخدمها في خطاباتها وبرامجها، مثل الدولة، المقاومة، المواطنة، وذلك بهدف تجاوز التحليلات السياسية السطحية إلى مقاربات معرفية أعمق. وضرورة تطوير أدوات منهجية متعددة التخصصات تجمع بين تحليل الخطاب السياسي، والأنثروبولوجيا السياسية، والمقاصد الشرعية، لفهم الحركات الإسلامية ليس فقط كفاعلين سياسيين، بل كمشاريع فكرية حية في تحول دائم.

الكلمات المفتاحية: الإسلام السياسي، التحول المعرفي، البراغماتية، حماس، الدولة الإسلامية، الفكر الإسلامي المعاصر.

المقدمة

لم يعد الإسلام السياسي مجرد مشروع أيديولوجي جامد أو حراك احتجاجي مؤقت، بل أضحت ميداناً مركزياً لإعادة التفكير في العلاقة بين الدين والدولة والهوية والسياسة في العالم الإسلامي. فمنذ مطلع القرن العشرين، بدأ الإسلام السياسي يتبلور كاستجابة متعددة المستويات للتحويلات الكبرى التي أحدثها الاستعمار، والحدثة، وتفكك الدولة التقليدية، وقدرته على التكيف مع السياقات المختلفة هي ما جعله يحتفظ بمكانته على الساحة الفكرية والسياسية حتى اليوم.

وقد مثلت الحركات الإسلامية، لا سيما بعد الربيع العربي، نقطة تحول في الخطاب والممارسة؛ حيث انتقلت من الحقل الدعوي والمجمعي إلى ميدان الحكم والمشاركة السياسية، مما كشف عن فجوات بنيوية ومعرفية في مقولاتها حول الدولة والمواطنة والشرعية. لقد أظهرت التجربة السياسية لحركات مثل جماعة الإخوان المسلمين في مصر، والنهضة في تونس، وحماس في فلسطين، أن الخطاب الإسلامي يمر بمخاضات معرفية عميقة تعكس محاولات مستمرة للتوفيق بين المرجعية الدينية ومقتضيات الدولة الحديثة (Ayoob, 2008; Bayat, 2013; Hamid, 2006; Hroub, 2016).

تتجلى أهمية هذه الدراسة في سعيها إلى تفكيك البنية المعرفية والفكرية التي يستند إليها الإسلام السياسي، وذلك من خلال نموذج حركة المقاومة الإسلامية «حماس» التي تمثل حالة مركبة تتداخل فيها الأبعاد الوطنية والدينية والمقاومية. ومن خلال تحليل هذا النموذج، تسعى الدراسة إلى تقديم قراءة نقدية معمقة للتحويلات الفكرية في خطاب الحركة، والكيفية التي أعادت بها تأويل مفاهيم مثل المقاومة، الدولة، الشراكة، والتعددية.

وتحاول الدراسة أن تسد فجوة بحثية قائمة في حقل الدراسات السياسية والفكرية، إذ أن معظم الأدبيات السابقة إما ركزت على البعد الأمني والتنظيمي، أو تناولت الظاهرة بخطاب وصفي تقريرى. بينما تهدف هذه الورقة إلى قراءة معرفية تحليلية نقدية تستند إلى المنهج التحليلي والمقارن، وتستلهم من التحويلات الفكرية في الفكر الإسلامي السياسي أدواتها، لتقارب خطاب حماس بعد تجربة الحكم، من منظور جديد يجمع بين التنظير والتطبيق، وبين التجربة والمقاربة المفاهيمية.

لقد بات من الضروري اليوم تطوير مقاربات أكثر عمقاً لفهم التحويلات التي تطال الإسلام السياسي، ليس فقط بوصفه فاعلاً سياسياً، بل كحقل معرفي حيّ، يختزن داخله صراعات وتناقضات وتطلعات تسهم في تشكيل معالم المجال السياسي والديني في العالم العربي.

وسيتم تقسيم الدراسة إلى فصول، بحيث سيتم تناول الإطار النظري والمنهجي: تعريف المفاهيم، خلفية تاريخية، مراجعة الأدبيات بالفصل الأول، أما الفصل الثاني فسيكون بعنوان التحويلات الفكرية في الإسلام السياسي: من الإحياء إلى ما بعد الإسلاموية، وعلى التوالي الحركات الإسلامية

والمفاهيم الحديثة: الدولة، الديمقراطية، الشرعية، الهوية، ومن ثم نموذج حماس: الإسلام السياسي المقاوم: النشأة، الفكر، الخطاب، الممارسة، التحولات في فصلها الرابع، وأخيراً الفصل الرابع بعنوان نحو إعادة بناء الإسلام السياسي: آفاق نظرية وملاحظات نقدية.

مشكلة الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى الإجابة عن الإشكالية الآتية:

كيف أثرت التحولات الفكرية والمعرفية في الإسلام السياسي على بنية وتوجهات الحركات السياسية الإسلامية المعاصرة، وبشكل خاص على تجربة حركة حماس في فلسطين؟

أسئلة الدراسة

- ما أبرز الاتجاهات الفكرية التي أسهمت في تشكيل خطاب الإسلام السياسي المعاصر؟
- ما هي الخصوصية التي تتفرد بها تجربة حركة حماس في سياق الإسلام السياسي؟
- هل تشكل حماس نموذجاً لتجديد الفكر السياسي الإسلامي أم استمراراً للمدرسة التقليدية؟

أهداف الدراسة

- تحليل الخلفيات الفكرية والمعرفية المؤثرة في خطاب الإسلام السياسي المعاصر.
- دراسة نموذج حركة حماس لفهم كيف تتجسد هذه التحولات الفكرية في الواقع السياسي.
- استشراف مستقبل الإسلام السياسي في ضوء التحولات الفكرية الراهنة.

أهمية الدراسة

- أصالة الموضوع: تقدم الدراسة معالجة فكرية تحليلية للحركات الإسلامية تتجاوز المقاربات الأمنية أو الأيديولوجية السائدة.
- راهنية النموذج: تُعد حماس مثلاً معاصراً وواقعياً لفهم الإسلام السياسي في بيئة مقاومة ومضطربة سياسياً، خاصة بعد أحداث السابع من أكتوبر.
- الجمع بين التنظير والتطبيق: تربط الدراسة بين التحليل الفكري والنموذج التطبيقي.
- المساهمة العلمية: تفتح آفاقاً جديدة لقراءة الإسلام السياسي في ضوء الدراسات المعرفية الحديثة ومفهوم «ما بعد الإسلاموية».

منهجية الدراسة

تعتمد الدراسة على المنهج التحليلي النقدي لفهم البنى الفكرية التي تقف خلف تطور خطاب الحركات السياسية الإسلامية، مع توظيف منهج تحليل الخطاب (Discourse Analysis) في تحليل نصوص ومواقف قيادات حركة حماس من خلال الرجوع لميثاق حركة حماس ووثيقتها، إلى جانب المنهج التاريخي لتتبع تطورات الفكر الإسلامي السياسي منذ القرن العشرين حتى اليوم.

الإطار المفاهيمي

الإسلام السياسي:

يشير مصطلح «الإسلام السياسي» إلى مجموعة من الحركات والتيارات التي تسعى إلى توظيف الإسلام كمرجعية شاملة لتنظيم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وهو مصطلح إشكالي في حد ذاته، إذ يتضمن افتراضاً بأن الإسلام يمكن أن يكون برنامجاً سياسياً في سياقات الدولة الحديثة. يرى بعض الباحثين أن الإسلام السياسي ليس مذهباً موحداً، بل طيف واسع من الاتجاهات يتراوح بين السلمي والجهادي، بين الإصلاحية والثورية، وبين من يقبل بالديمقراطية ومن يرفضها (Roy, 2004; Ayoob, 2008).

الفكر السياسي الإسلامي:

هو جملة الأفكار والمفاهيم والاجتهادات التي تتعلق بالحكم، والسلطة، والشورى، والطاعة، والعلاقة بين الحاكم والمحكوم، كما تطورت عبر التاريخ الإسلامي. وهو فكر يتفاعل مع النصوص المؤسسة (القرآن والسنة) ومع الاجتهادات الفقهية، ولكنه أيضاً يتأثر بالتحولات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وفي العصر الحديث، أعيد إنتاج هذا الفكر في ضوء تحديات الحداثة والاستعمار والعلمانية والدولة القومية. (Enayat, 2005)

المعرفة السياسية الإسلامية:

تشير إلى مجموع التصورات والأفكار والمرجعيات التي تتأسس عليها رؤية الحركات الإسلامية للسياسة والسلطة والمجتمع، وتشمل هذه المعرفة التأويلات الفقهية، والمرجعيات العقدية، والخبرات السياسية المتراكمة، والاحتكاك بالمفاهيم الغربية الحديثة (مثل الديمقراطية، والحرية، والمواطنة، والشرعية). وقد باتت هذه المعرفة اليوم مجالاً لتجاذبات فكرية بين تيارات تقليدية، وأخرى إصلاحية، وثالثة تجديدي (العلواني، 2017).

الفصل الأول: الإطار النظري والمنهجي

الأطر النظرية المفسرة للإسلام السياسي

في دراسة الإسلام السياسي، تباينت الأطر النظرية التي حاولت تفسير نشأة الحركات الإسلامية وتطور خطابها السياسي. من بين أبرز هذه الأطر:

- المقاربة السوسولوجية: تنظر إلى الحركات الإسلامية كاستجابة اجتماعية لأزمات الهوية والنهميش السياسي والاقتصادي، وترتبط بين صعودها وبين ضعف الدولة الوطنية وفشل النخب التقليدية (Wojtowicz, 2004).

- المقاربة الأيديولوجية: تعتبر الإسلام السياسي أيديولوجيا شمولية تسعى لإعادة تنظيم

- المجال السياسي والاجتماعي وفق رؤى دينية مطلقة، وهو ما جعل بعض الباحثين يقارنونه بالأيديولوجيات الوضعية مثل الشيوعية أو الفاشية.
- مقارنة «ما بعد الإسلامية» (Post-Islamism): طرحها بيات (2007, Bayat)، وتركز على التحول من الطرح الإسلامي الشمولي إلى مقاربات أكثر براغماتية وواقعية، نتيجة لتجارب الحكم والإخفاقات السياسية.
- المقاربة التحليلية للخطاب: وهي التي تعتمد على تحليل نصوص وخطابات الحركات الإسلامية لفهم بنيتها الفكرية وموقعها ضمن الحقل المعرفي والسياسية.
- تجمع هذه الدراسة بين هذه الأطر من خلال منظور تركيبي نقدي، يهدف إلى فهم الظاهرة من زوايا متعددة دون الوقوع في التعميم أو الاختزال.

مراجعة الدراسات السابقة والفجوة العلمية

Ayoub (2008). The Many Faces of Political Islam.

تناول المؤلف الإسلام السياسي بوصفه ظاهرة متعددة الأوجه، محاولاً تقديم إطار نظري لفهم دوافع الحركات الإسلامية في سياقات محلية ودولية متنوعة. ركز على العلاقة بين الدين والدولة والتحديات التي تواجه الإسلام السياسي عند مشاركته في الحكم.

Roy (2004). Globalized Islam: The Search for a New Ummah.

حلّل أوليفيه روا ظاهرة «الأسلمة بدون إسلاميين»، وركز على التغيرات الثقافية والمعرفية التي أثّرت في خطاب الإسلام السياسي المعولم. اعتبر أن الحركات الإسلامية الحديثة أكثر انشغالاً بالهوية من المشروع السياسي الشامل.

Bayat (2007). Islam and Democracy: What is the Real Question?

قدّم بيات مفهوم «ما بعد الإسلامية» بوصفه تحولاً في الخطاب الإسلامي من الشمولية إلى البراغماتية. أكد على ضرورة تحليل السياقات الاجتماعية لتفسير تحولات الإسلاميين.

Gunning (2008). Hamas in Politics: Democracy, Religion, Violence

درس تجربة حماس كفاعل سياسي ومقاوم في آن، محللاً علاقتها بالديمقراطية والسلاح والدين. اعتبر أن حماس تعيد تشكيل الإسلام السياسي بطريقة تختلف عن التنظيمات الكلاسيكية مثل الإخوان.

Brown (2012). When Victory is Not an Option

ناقش كيف تتعامل الحركات الإسلامية مع السياسة في ظل القيود السلطوية. ركّز على البراغماتية التي باتت تطبع سلوك الإسلاميين المعاصرين، وأكد على غياب مشروع فكري متماسك.

Enayat (2005). Modern Islamic Political Thought

تناول تطور الفكر السياسي الإسلامي من مدرسة الأفغاني إلى حركات الإسلام السياسي الحديثة، مع تركيز على الإشكالات النظرية المتعلقة بالحكم والدولة والشرعية.

أبو رمان، محمد. (2010). الإصلاح السياسي في الفكر الإسلامي المعاصر.

ناقش الاتجاهات الإصلاحية داخل الحركات الإسلامية، مع تركيز على جدلية النص والواقع، والعلاقة بين الديمقراطية والشرعية. سلط الضوء على تنوع المرجعيات الفكرية داخل الإسلام السياسي.

الهضيبي، عبد المنعم. (2007). حماس: الفكر والممارسة.

قدم قراءة تحليلية مركزة لتطور الفكر السياسي لدى حركة حماس، وعلاقة ذلك بمسارات المقاومة والحكم، دون التوسع في البعد المعرفي العميق أو التأثيرات الفكرية الخارجية.

الفجوة العلمية ومساهمة الدراسة

من خلال تحليل هذه الدراسات، نلاحظ أن:

- الدراسات الغربية ركزت غالباً على السلوك السياسي للحركات الإسلامية دون التعمق في البنية المعرفية المؤسسة لها.
- العديد من الدراسات العربية اتجهت نحو التحليل السياسي أو الأيديولوجي، مع غياب المنهجية التحليلية للخطاب الفكري والمعرفي.
- النموذج الفلسطيني، وبشكل خاص تجربة حماس، لم يُحلل بشكل كافٍ من منظور معرفي نقدي يجمع بين التنظير والتطبيق.

من هنا، تتبع أهمية هذه الدراسة في سد فجوة واضحة، إذ تسعى إلى:

- تقديم قراءة معرفية تحليلية لخطاب الإسلام السياسي من خلال نموذج حماس.
- الربط بين التحولات الفكرية الكبرى في الفكر الإسلامي وتجلياتها في الحركات السياسية.
- توظيف أدوات تحليل الخطاب في قراءة الحركات الإسلامية، بعيداً عن السرد الأيديولوجي أو التوصيف التنظيمي فقط

الفصل الثاني: التحولات الفكرية والمعرفية في الإسلام السياسي المعاصر

تُعد التحولات الفكرية والمعرفية في الإسلام السياسي المعاصر مفتاحاً لفهم ديناميكيات هذه الظاهرة المتعددة الأبعاد. فالحركات الإسلامية لم تنشأ في فراغ، وإنما جاءت كنتيجة لتراكمات معرفية، وصدمات سياسية، وتحديات وجودية فرضتها الحداثة والاستعمار وتقلد المرجعيات التقليدية. وقد تتقلّ الفكر الإسلامي المعاصر بين تيارات الإحياء، والتنظير السياسي، والانخراط في المجال العام، ثم المشاركة في الحكم، وصولاً إلى ما يُعرف بـ «ما بعد الإسلاموية».

يهدف هذا الفصل إلى تحليل المراحل الفكرية التي مرت بها الحركات الإسلامية، وتفكيك البنية المعرفية التي أسست لخطابها السياسي، مع التركيز على التداخل بين المرجعيات الفكرية، والتغيرات السياقية، والتأثيرات المعرفية المتبادلة بين الفكر الإسلامي والحدثة الغربية.

1. من الفكر الإحيائي إلى الإسلام السياسي المنظم

يمكن تتبع الجذور الفكرية للإسلام السياسي في العصر الحديث من خلال ما يُعرف بحركات الإحياء الإسلامي التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر، كردّ فعل على الاستعمار، وتفكك الدولة العثمانية، وتحديات الحدثة الغربية. وقد شكّل مفكرون مثل جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، ورشيد رضا، حجر الأساس لنهضة فكرية دعت إلى إعادة تفعيل الدين في المجال العام (Enayat, 2005). ثم جاء جيل المودودي (1903-1979) في الهند، وحسن البنا (1906-1949) في مصر، ليطوروا هذه الأفكار إلى مشاريع سياسية منظمة، تتبنى الإسلام بوصفه نظاماً شاملاً للحياة، وتسعى إلى إقامة دولة إسلامية حديثة تستند إلى الشريعة والهوية الإسلامية (Ayoob, 2008).

في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، برز فكر سيد قطب، الذي شكّل نقطة تحول راديكالية في الإسلام السياسي، حيث تبنى فكرة «الجاهلية الجديدة» ودعا إلى «الحاكمية الإلهية»، مما مهد لتيارات أكثر تشدداً (Roy, 2004). في المقابل، قدم حسن الترابي في السودان نموذجاً أكثر تركيباً، حيث سعى إلى مواءمة الإسلام مع مفاهيم الديمقراطية والدولة الحديثة، من خلال فكر دستوري إسلامي معاصر.

2. التحولات الفكرية الكبرى: من الشمولية إلى البراغماتية

شهد الإسلام السياسي خلال العقود الأخيرة تحولات فكرية عميقة، انتقل فيها من الطرح الشمولي إلى خطاب أكثر براغماتية وواقعية نتيجة لتغيرات داخلية وخارجية. وقد أدت تجارب المشاركة السياسية، والتعرض للقمع، ومواجهة تحديات الحكم، إلى إعادة النظر في المفاهيم المؤسسة للخطاب الإسلامي السياسي.

وقد برزت شخصيات فكرية عربية أسهمت في دعم هذا التحول، مثل راشد الغنوشي، وسيف الدين عبد الفتاح، ورضوان السيد، وغيرهم. كما أظهرت دراسات مثل دراسة مركز الجزيرة للدراسات (2014)، والمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (2017)، أن التيارات الإسلامية التي خاضت التجربة السياسية تميل تدريجياً إلى تطوير خطاب أكثر واقعية، يدعو إلى المراجعة والنقد الذاتي.

3. إسهامات المفكرين المعاصرين في تجديد الفكر السياسي الإسلامي

برزت إسهامات مجموعة من المفكرين المعاصرين الذين سعوا إلى إعادة صياغة العلاقة بين الإسلام والسياسة، من خلال تجاوز الطرح الشمولي التقليدي، وتقديم رؤى أكثر انفتاحاً ومرونة تستوعب تعقيدات الدولة الحديثة ومفاهيمها مثل المواطنة والدولة القومية والمدنية.

قدم عبد الوهاب المسيري نقداً جذرياً للحدائثة الغربية، وسعى إلى تأسيس نموذج إسلامي حضاري بديل يرفض اختزال الإنسان إلى كائن مادي. كما أنه دعا إلى تجاوز الأيديولوجيات الشمولية وتبنى رؤية حضارية للقيم الإسلامية في مواجهة المركزية الغربية (المسيري، 2002).

في حين دافع راشد الغنوشي عن فكرة الدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية، ورفض التناقض بين الإسلام والديمقراطية، مؤكداً على أهمية التعايش بين التعددية السياسية والمرجعية الدينية. غير أن الغنوشي ميز بين الدولة الدينية والدولة المدنية ذات المرجعية الإسلامية، ويرى أن الأخيرة هي الأقدر على استيعاب المواطنة وحقوق الإنسان (الغنوشي، 2016).

وفي الوقت الذي ركز فهمي هويدي على إمكانية التوفيق بين الشريعة والممارسة الديمقراطية، مشدداً على أن المواطنة ليست نقيضاً للعقيدة، بل مكملة لها في البناء السياسي والاجتماعي. ويرى أن الدولة الإسلامية لا تعني هيمنة طبقة دينية بل تعني سيادة القيم والعدالة في إطار مدني تشاركي (هويدي، 1998).

وقد قدم وائل حلاق سبقاً من خلال أطروحة نقدية جذرية لمفهوم الدولة القومية الحديثة، معتبراً أن «الدولة الإسلامية» بالمعنى الحديث غير ممكنة لأنها تتناقض مع البنية الأخلاقية والمعرفية للشريعة الإسلامية. ويرى أن المفارقة الكبرى تكمن في أن مشروع الإسلام السياسي يسعى لتقليد الدولة الغربية في حين يدعي مواجهته. (Hallaq, 2013)

ويأتي سيف الدين عبد الفتاح بدعوته الجريئة إذا جاز التعبير إلى تأسيس علم سياسي إسلامي يتجاوز النسق الوضعي الغربي، ويرتكز على الفعل الحضاري والأخلاق السياسية. ويرى أن الفقه السياسي الإسلامي يجب أن يُعاد بناؤه وفق مقاصد الشريعة والمصلحة العامة.

وينتقد كل من رضوان السيد وفهمي جدعان في مساهمة عقلانية في إعادة قراءة المفاهيم السياسية الإسلامية مثل الخلافة، الشرعية، والدولة، من خلال منظور تاريخي واقعي. حيث أكد السيد على ضرورة تمييز الديني عن السياسي دون فصلهما، بينما دعا جدعان إلى اجتهاد مدني عقلائي ينطلق من القيم الإسلامية (السيد، 2014؛ جدعان، 2010).

هذه الإسهامات تمثل اتجاهاً معرفياً جديداً يسعى إلى تجديد الفكر السياسي الإسلامي من داخل المرجعية الإسلامية، ولكن عبر أدوات تحليلية ومنهجيات نقدية معاصرة، وهو ما يجعلها إطاراً غنياً للمقارنة والمفارقة بين اتجاهات ترى في الدولة القومية تهديداً للهوية الإسلامية، وأخرى ترى فيها فرصة لبناء نموذج إسلامي مدني حديث.

4. نموذج حركة حماس: من الأيديولوجيا إلى البراغماتية - قراءة معرفية في ضوء التحولات ما بعد 7 أكتوبر

تُعد حركة المقاومة الإسلامية (حماس) من أبرز الحركات الإسلامية التي تجمع في بنيتها بين

المرجعية الأيديولوجية، والعمل العسكري، والانخراط السياسي. هذا المزيج أنتج نموذجاً مركباً فرض نفسه على الساحة الفلسطينية والعربية، وجعل من حماس مختبراً حقيقياً لدراسة تحولات الإسلام السياسي.

● من الميثاق العقائدي إلى وثيقة 2017: التحول البراغماتي

ليس من السهولة الوقوف على الفكر السياسي لحركة حماس، خاصة وأن هذه الحركة ما زالت في مرحلة التطوير والتغيير، فالحركة عموماً تتصدى لحمل قضيتين هامتين على كاهلها: قضية النظام السياسي الإسلامي، بصفتها حركة سياسية إسلامية؛ وثانيهما قضية تحرير فلسطين من نير الاحتلال. وكلتا القضيتين تمران بمنعطفات وتغيرات حادة على مختلف الصعد، محلياً، وإقليمياً، ودولياً، الأمر الذي يجعل من فكر هذه الحركة في تطور سريع. وقد عبر مشعل رئيس المكتب السياسي للحركة في مقابلة أجراها مع صحيفة فلسطين في الثاني من أيار عام 2017م عن هذا التغيير أنه صفة طبيعية وضرورية، مشدداً على أن حماس تؤمن أن التطور والتجديد ضرورة، وأن مستقبل الأيام ربما يحمل أدبيات أخرى تعكس التطور الطبيعي والتجدد الحيوي لحماس (أبو لطيفة، 2020).

ففي الوقت الذي تركز الميثاق التأسيسي لحماس عام 1988 حول أيديولوجيا دينية ترى أن فلسطين وقفٌ إسلامي لا يُحل عبر التسوية السياسية، بل عبر الجهاد. وقد عكس هذا الطرح انتماء الحركة لمدرسة الإخوان المسلمين التقليدية، التي تربط بين التحرير والعقيدة (Hroub, 2006).

إلا أن صدمة السلطة بعد فوزها في الانتخابات التشريعية عام 2006 فرضت على الحركة تحديات جديدة، تتعلق بالحكم والشرعية والعلاقة بالمجتمع الدولي. وقد مهد ذلك لصدور وثيقة المبادئ والسياسات العامة 2017، التي مثلت تحولاً معرفياً وواقعياً، حيث أقرت لأول مرة بإمكانية قيام دولة فلسطينية على حدود 1967، مع استمرار رفضها الاعتراف بإسرائيل، وتبنيها للغة أكثر واقعية تجاه مفاهيم مثل المقاومة السياسية، والشراكة الوطنية، والتعددية (Gunning, 2008; Hamas, 2017).

وهنا يأخذ رزقة (2017) منحى مختلفاً تماماً، فلا يكتف بقناعته، بأن ميثاق الحركة كتب بلغة حاسمة لا تستعمل، قاطعة لا يتناسب كثيراً مع دور حماس والتحديات التي تواجهها، بل زاد على ذلك بأن أدبيات حماس عموماً، قد افتقرت إلى مكونات اللغة السياسية. فهو يرى أنه لا يجوز أن تخلو مكونات الرؤية السياسية لحركة مثل حماس من الحديث إلى جانب الدين، عن مفهوم الدولة، لقلة الخبرة، ولرفض البعض لهذه المفاهيم، كما أن خلو الميثاق من مثل هذه المصطلحات لم يشجع الكثيرين للكتابة فيه، مع أنه يعتقد أن تشكيل عرفات للسلطة الفلسطينية كان من المفروض أن يدفع حماس لتقديم رؤيتها السياسية للنظام السياسي الفلسطيني. ومن الطبيعي أن تأتي وثيقة مشعل في ظل هذا الكم من المتغيرات الكثيرة التي أُلقت بنتائجها المدمرة على القضية الفلسطينية،

ومع شعور الشعب الفلسطيني بغياب العمق الاستراتيجي العربي والإسلامي، والذي هزلت معظم أنظمتها خلف أمريكا، والذي تعتمد بوقاحة اتهام حركة حماس بأنها (إرهابية). تعتبر مسألة مساواة حركة حماس بغيرها واعتبارها حركة إرهابية والعرب غير آبهون، ما بعث على الخوف والقلق لصعوبات قادمة قد تواجهها الحركة والشعب في قطاع غزة على وجه الخصوص، مما يستدعي من ذوي الفطنة والحكمة والنباهة السياسية التحرك لسد باب الذرائع لما يمكن أن تفكر إسرائيل أو غيرها القيام به. ومن المنطقي جداً، وليس هناك ما يعيب على أحد أنه من أجل حماية المشروع الوطني، وحماية القاعدة الشعبية العريضة أن تأتي الوثيقة بلغة خطاب جديدة، حيث إن تاريخنا الإسلامي مليء بالشواهد التي تبرر لحماس بعضاً من مواقفها، وسأكتفي بالإشارة لبعض تلك الوقائع التي جرت في العهد النبوي، ولن أنطرق لعهود إسلامية وسياقات تاريخية أخرى مثل «صلح الرملة»، الذي عقده صلاح الدين الأيوبي مع الصليبيين، وما شاهدناه في تونس من مواقف متقدمة للحركة الإسلامية هناك، حيث تنازلت حركة النهضة طواعية عن صدارة المشهد السياسي، بهدف حماية البلاد من الانقسام وحمامات الدم.

● ملامح الخطاب الجديد: براغماتية بدون قطيعة مع الأصل

رغم عدم تخلي حركة حماس عن مرجعيتها الإسلامية، فإن وثيقة 2017 تضمنت إشارات واضحة إلى:

- استبدال مفهوم الجهاد بمفهوم "إدارة المقاومة".
 - فتح المجال أمام "الوحدة الوطنية" وتداول السلطة.
 - استخدام لغة "المواطنة" بدلاً من الانتماء العقائدي المحض.
- وهذا التحول يندرج ضمن ما أشار إليه آصف بيات في تنظيره لمفهوم ما بعد الإسلاموية، باعتباره انتقالاً من "الإسلام كشريعة" إلى "الإسلام كقيمة أخلاقية في المجال العام" (Bayat, 2013).

● ما بعد 7 أكتوبر 2023: صدمة الأحداث وتحدي الاتساق المعرفي

أحداث 7 أكتوبر 2023، حين شنت حماس هجوماً كبيراً على إسرائيل، شكّلت لحظة مفصلية في مسار الحركة. من جهة، أعادت ترسيخ صورتها كحركة مقاومة عسكرية فاعلة؛ ومن جهة أخرى، عرضتها لموجة انتقادات داخلية وخارجية بسبب تداعيات الحرب، وانهيار الوضع الإنساني في غزة، وزيادة العزلة السياسية (Wilson Center, 2023; The Times, 2023).

البُعد	ميثاق ١٩٨٨	وثيقة ٢٠١٧
مرجعية الصراع	دينية مطلقة (عقائدية - صراع وجودي)	وطنية مشروطة بالثوابت - روية واقعية للصراع
الموقف من إسرائيل	نفي كامل لوجودها وشرعيتها	رفض للشرعية القانونية دون الاعتراف الواقعي بإسرائيل
المقاومة	جهاد عقائدي شامل	مقاومة متعددة الأدوات (سياسية، شعبية، مسلحة)
الدولة والمواطنة	غياب تام للمفهوم - لا ذكر للدولة أو للمواطنة	إقرار بدولة فلسطينية على حدود ١٩٦٧ وشراكة وطنية وتعددية

هذا الحدث كشف عن تناقضات معرفية داخل خطاب الحركة: فهي تتبنّى لغة الواقعية والدولة في الوثيقة، لكنها في لحظة الفعل العسكري تعود إلى خطاب "التحرير الكامل"، ما يعكس مفارقة بين الخطاب السياسي المعلن والسلوك الميداني، وهو ما تنبّه إليه بعض الباحثين باعتباره حدوداً للبراغماتية داخل الحركات ذات المرجعية الأيديولوجية (Al-Anani, 2021)

● مقارنة تحليلية بين ميثاق حماس (1988) ووثيقة 2017

يبين هذا التحول البنوي بين الوثيقتين انتقال حركة حماس من الخطاب الشمولي العقائدي الذي يتبنى الصراع الوجودي، إلى خطاب سياسي أكثر واقعية ومرونة.

وثيقة 2017 لا تمثل فقط تغييراً تكتيكياً، بل تعكس تحولاً معرفياً في فهم الحركة لمفاهيم مثل:

- الوطنية بوصفها إطاراً سياسياً جامعاً يتسع لكل الفصائل،
- المواطنة كشكل من أشكال الاعتراف بالتعدد الفلسطيني،
- المقاومة كاستراتيجية قابلة للتكيف وليس كفريضة مطلقة.

● الخلاصة: نحو نموذج معرفي متحول

إن حماس، مثلها مثل أغلب الحركات الإسلامية، وجدت نفسها مجبرة على إعادة تأويل خطابها لتتوافق مع الواقع السياسي. غير أن هذا التحول لم يكن دائماً متسقاً، إذ تكشف لحظات الأزمة عن بقاء جذور أيديولوجية صلبة، تُصعب الانتقال الكامل نحو براغماتية سياسية مستقرة. ومع ذلك، فإن وثيقة 2017 تبقى لحظة معرفية متقدمة في فكر الحركة، قد تُمثل بوابة لنقلة نوعية أوسع إن تم البناء عليها منهجياً وواقعياً.

الفصل الثالث: التحولات الفكرية والمعرفية في الإسلام السياسي المعاصر

شهد الإسلام السياسي منذ عقود تحولات فكرية ومعرفية عميقة، تجاوزت حدود التنظيم الحركي والسياسي إلى مراجعة شاملة في بنية الخطاب، ومفاهيم الدولة، والشرعية، والمواطنة، والمجتمع.

فبعد أن تأسست الحركات الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين على قواعد أيديولوجية صارمة، وُلدت في سياقات ما بعد الاستعمار كحركات رفض وممانعة للهيمنة الغربية، بدأت هذه الحركات تواجه تحديات الواقع المعاصر، بما فيه من صدمات الحداثة، ومتغيرات النظام الدولي، ومتطلبات الحكم والمشاركة السياسية. لقد كشفت تجارب الإسلاميين في الحكم، خاصة في أعقاب ثورات الربيع العربي، عن محدودية الطرح الشمولي الذي يفترض أن الإسلام يمتلك إجابات جاهزة ومكتملة لكل قضايا السياسة والحكم والمجتمع. فقد اصطدمت هذه التصورات بأزمات الدولة الحديثة ومؤسساتها، وتحديات الإدارة والتعددية والشرعية. وأظهرت هذه التجارب - كما في حالة مصر بعد 2012 أو تونس بعد الثورة - أن الخطاب الإسلامي التقليدي غير قادر وحده على تأمين حلول عملية ومستدامة لمشكلات الحكم والدولة. (Hamid, 2016; Brown, 2013).

هذا الانكشاف دفع تيارات الإسلام السياسي إلى الدخول في مراجعات معرفية، سواء على مستوى النظرية من خلال إعادة قراءة المفاهيم السياسية الإسلامية، أو على مستوى الممارسة عبر تبني استراتيجيات أكثر انفتاحاً وبرامغانية. لقد بدأت تظهر اتجاهات داخل هذه التيارات تتبنى خطاباً مرناً، يُحاول المزوجة بين المرجعية الدينية وقيم الدولة الحديثة، في محاولة لتجاوز الثنائيات التقليدية بين الشريعة والديمقراطية، أو بين العقيدة والتعددية (Bayat, 2013; Filali-Ansary, 2012).

من هنا، يسعى هذا الفصل إلى تفكيك التحولات المعرفية والفكرية التي عرفها خطاب الإسلام السياسي، وذلك من خلال تحليل المرجعيات الفكرية التقليدية، ومناقشة ملامح الانتقال من الشمولية إلى الواقعية، واستعراض إسهامات مجموعة من المفكرين المعاصرين الذين أعادوا صياغة العلاقة بين الدين والسياسة في ضوء تطورات العصر. كما يخصص هذا الفصل دراسة تطبيقية لنموذج حركة حماس، باعتباره مثالاً حياً على هذه التحولات، من خلال مراجعة وثائقها وتحليل تحول خطابها بعد تجربة الحكم والصدام مع واقع الدولة.

تكمن أهمية هذا الفصل في كونه لا يكتفي بتوصيف التحولات، بل يسعى إلى تقديم قراءة معرفية نقدية، تتجاوز النقيص السياسي إلى تحليل البنى المرجعية والمنهجية، في محاولة لاستشراف مستقبل الفكر السياسي الإسلامي في ضوء التحولات الجارية.

نموذج حركة حماس: من الأيديولوجيا إلى البرامغانية - قراءة معرفية في ضوء التحولات ما بعد 7 أكتوبر

تمثل تجربة حركة حماس مثالاً حياً على التحول في البنية الفكرية للحركات الإسلامية، خصوصاً مع انخراطها في العملية السياسية بعد فوزها في الانتخابات التشريعية عام 2006. فقد أدركت الحركة أن العمل الدعوي والمقاومة المسلحة، رغم مركزيتها في خطابها، لم يعودا كافيين لإدارة شؤون الدولة، مما استدعى مراجعة أدواتها وبرامجها بما يتماشى مع متطلبات الحكم.

وقد عبّرت حماس عن هذا التحول من خلال برنامجها الانتخابي، الذي تألف من ثمانية عشر محوراً شملت مجالات متعددة من شؤون الحكم والإدارة، منها: السياسة الداخلية والخارجية، الإصلاح الإداري، مكافحة الفساد، التشريع والقضاء، الحريات العامة، التعليم، الإعلام، السياسة الاجتماعية، شؤون المرأة والأسرة، الشباب، الصحة، البيئة، الاقتصاد، العمل، النقل، والزراعة. ويعكس هذا التنوع سعي الحركة لتقديم برنامج شامل ومؤسّساتي يُلبّي احتياجات المجتمع ويعبر عن وعي براغماتي جديد. (Hamas, 2006; Gunning, 2008)

ما يلفت الانتباه في البرنامج هو استخدامه لخطاب قانوني ومدني، وانتقاله من اللغة الدعوية التقليدية إلى خطاب مؤسّساتي يعكس فهماً متقدماً لمفاهيم مثل المواطنة، والدولة المدنية، والتعددية، والشراكة السياسية، وتداول السلطة. فقد جاء في مقدمة البرنامج أن قائمة التغيير والإصلاح تسعى لبناء مجتمع مدني فلسطيني متطور يقوم على التعددية وتداول السلطة، وهي عناصر أساسية في أي نظام ديمقراطي حديث.

رغم هذا التحول، لم تتخل الحركة عن ثوابتها العقائدية، بل أكدت على مركزية الإسلام كمرجعية حضارية شاملة، وعلى حق الشعب الفلسطيني الكامل في أرضه، وعلى مشروعية المقاومة، بما في ذلك الكفاح المسلح. غير أن الجديد تمثل في تبني أدوات سياسية أكثر تنوعاً وواقعية، وفي الانفتاح على الشراكة الوطنية والمشاركة في مؤسسات الدولة.

إن هذا التطور يعكس نضوجاً سياسياً ومعرفياً في فكر الحركة، كما عبّر عنه قادتها في مناسبات متعددة. فقد أكد خالد مشعل، الرئيس السابق للمكتب السياسي لحركة حماس، في عدة لقاءات ومؤتمرات أن الحركة أعادت صياغة خطابها بما ينسجم مع متطلبات الدولة والمجتمع الدولي، دون التخلي عن ثوابتها العقائدية (Mishal, 2017). كما أشار الدكتور أحمد يوسف، أحد أبرز منظري الحركة، إلى أن وثيقة 2017 تمثل تحولاً جذرياً نحو لغة سياسية أكثر براغماتية، وأنها جاءت لتؤكد استعداد الحركة للانخراط في النظام السياسي الفلسطيني على أساس الشراكة والتعددية (Yousef, 2017). ويُعد هذا المسار دليلاً على تجاوز الحركة لميثاقها الأول من حيث اللغة والممارسة، باتجاه خطاب يزوج بين المرجعية الإسلامية والواقعية السياسية، دون التقريط بجوهر المشروع الإسلامي المقاوم (Gunning, 2008)

يمثل هذا التحول محاولة من حماس لإعادة تموضعها كفاعل سياسي داخل النظام الفلسطيني، وفي الإقليم، مع الحفاظ على هويتها الإسلامية. إنه انتقال تدريجي من خطاب أيديولوجي صارم إلى خطاب براغماتي واقعي، يعبر عن تفاعل عميق مع متغيرات الواقع المحلي والدولي.

تمثل التحولات الفكرية والمعرفية التي شهدتها الإسلام السياسي المعاصر مؤشراً على نضج تراكمي في مسيرة الحركات الإسلامية، ووعي متزايد بتعقيدات الواقع السياسي والاجتماعي الذي تنشط فيه. وقد بيّنت هذه الدراسة أن الإسلام السياسي لم يعد يتحدث من موقع «المشروع

الشمولي» الذي يتطلع إلى إقامة نموذج مثالي للدولة الإسلامية، بل بات يتفاعل مع تحديات الدولة الوطنية، والمجتمع المدني، ومتطلبات الحكم.

استنتاجات واستشراف مستقبل الإسلام السياسي

أولاً: استنتاجات أساسية

- التحولات الفكرية جاءت كرد فعل على صدمات الواقع، بدءاً من الإخفاقات السياسية، مروراً بتجارب الحكم، وصولاً إلى الضغط الداخلي والمجتمعي، مما دفع الحركات الإسلامية نحو المراجعة والتأمل الذاتي.
- نشأت مقاربات فكرية جديدة تُعيد تعريف العلاقة بين الإسلام والدولة، وتطرح مفاهيم مثل: المشاركة، التعددية، الدولة المدنية، والشرعية التعاقدية.
- كشفت النماذج التطبيقية، وعلى رأسها تجربة حركة حماس، عن وجود مسار براغماتي متصاعد في خطاب الإسلام السياسي، من دون أن يعني ذلك بالضرورة التخلي عن المرجعيات الدينية، بل إعادة تأويلها.
- برزت إسهامات معرفية ونقدية من مفكرين معاصرين ساهموا في تجديد الفكر السياسي الإسلامي، وطرحوا بدائل مفهومية تتجاوز الأطر التقليدية.

ثانياً: تحديات مستقبلية

التحديات المستقبلية للإسلام السياسي

- رغم التحولات الفكرية والمعرفية التي شهدتها الإسلام السياسي، إلا أن الطريق نحو تأسيس مشروع سياسي إسلامي عقلاني ما زال مليئاً بالتحديات البنوية، أبرزها:
- أزمة الثقة مع الأنظمة والمجتمعات: إذ ساهمت تجارب فاشلة في الحكم، كحالة مصر بعد 2012، في تعزيز الشكوك حول قدرة الحركات الإسلامية على إدارة الدولة. فقد أدى فشل تجربة الإخوان المسلمين إلى ارتداد سياسي في المنطقة، وصعود أنظمة استبدادية جديدة (Brown, 2013).
 - غياب خطاب عقلاني مؤسس: لا تزال العديد من الحركات أسيرة خطاب تعبوي أو شعائري، يفتقر إلى البناء المؤسسي أو النظري المتماسك. ففي تونس، رغم نجاح حركة النهضة نسبياً في تطوير خطاب مدني، فإنها عانت من غموض المواقف بين الهوية الإسلامية ومتطلبات السياسة الواقعية (Hamid, 2022).
 - الافتقار إلى نظرية سياسية متكاملة: تعاني أغلب الحركات الإسلامية من غياب إطار نظري يدمج بين مقاصد الشريعة وقيم الدولة الحديثة. فالمواجهة مع مفاهيم مثل المواطنة، فصل السلطات، وحقوق الإنسان لا تزال قائمة في الخطاب والممارسة.

- تحديات الجغرافيا السياسية الإقليمية: إذ تواجه الحركات الإسلامية ضغطاً مزدوجاً من أنظمة عربية مناهضة، ومن شروط المجتمع الدولي. على سبيل المثال، أعقبت مشاركة حركة حماس في السلطة موجة مقاطعة دولية خانقة، عززت من عزلتها السياسية. (Gunning, 2008)
- صعود نماذج غير دينية تقدمية: في عدد من الدول العربية، لم تعد الحركات الإسلامية الخيار الوحيد أو المهيمن، بل ظهرت قوى سياسية ذات طابع مدني أو يساري تسعى لتمثيل الشعوب في مواجهة الاستبداد، ما يفرض على الإسلاميين مراجعة خطابهم وأدواتهم من جديد (Bayat, 2013).

ثالثاً: سيناريوهات المستقبل

- اندماج الكامل في النظام السياسي: يتمثل هذا السيناريو في تحول الحركات الإسلامية إلى كيانات سياسية ذات طابع مدني، تتبنى المرجعية الإسلامية كإطار قيمي وأخلاقي دون فرضها كنظام شامل. في هذا السياق، تصبح هذه الحركات جزءاً من التعددية السياسية، تقبل بالتداول السلمي للسلطة، وتلتزم بأدوات الدولة الحديثة ومفاهيمها، مثل فصل السلطات، والمواطنة المتساوية، وسيادة القانون. يُعد هذا النموذج الأقرب إلى التعايش مع الأنظمة السياسية المعاصرة، كما يلاحظ في تجربة حزب النهضة في تونس وحزب العدالة والتنمية في المغرب، رغم التحديات التي واجهتهما لاحقاً.
- المراجعة الفكرية العميقة: يفترض هذا المسار أن تقوم نخب فكرية ومثقفة من داخل التيارات الإسلامية أو محيطها بإعادة النظر في المفاهيم التأسيسية للإسلام السياسي. تهدف هذه المراجعة إلى إنتاج خطاب جديد يتجاوز الثنائيات التقليدية بين الشريعة والدولة، وبين الدين والسياسة، نحو بلورة ما يُعرف بمرحلة «ما بعد الإسلامية». في هذا الإطار، تُعاد صياغة مفاهيم مثل الحاكمية، والشرعية، والمواطنة، بصورة تتوافق مع قيم الحداثة السياسية، والحقوق الفردية، والمعايير الديمقراطية، دون الانسلاخ عن القيم الإسلامية الجوهرية.
- التحول إلى العمل المجتمعي غير الحزبي: في حالات التضييق أو الإقصاء السياسي، قد تختار بعض الحركات الإسلامية الانسحاب من الساحة الحزبية الرسمية، والتركيز على العمل الأهلي والاجتماعي والخيري، بهدف المحافظة على وجودها وتأثيرها المجتمعي. وفي هذا السياق، تقوم هذه الحركات بإعادة توجيه طاقاتها نحو بناء الإنسان، وتقديم الخدمات، والمساهمة في التنمية المحلية، مما يُبقي على فعاليتها الشعبية دون الدخول في تنافس سياسي مباشر. يُعد هذا السيناريو تكتيكياً ومؤقتاً في بعض الحالات، ولكنه قد يتحول إلى خيار استراتيجي في سياقات القمع المتواصل.

- استمرار الصراع الداخلي بين التيارات التقليدية والإصلاحية: يتمثل هذا السيناريو في تصاعد التوتر بين الاتجاهات السلفية أو العقائدية الصلبة، والتي تتمسك بالفهم الحرفي للنصوص وتقاوم التغيير، وبين الاتجاهات التجديدية التي تسعى إلى تطوير الخطاب السياسي الإسلامي ليتلاءم مع متغيرات الدولة والمجتمع. هذا الصراع قد يؤدي إلى انقسامات داخلية، وتراجع في الفعالية التنظيمية، أو قد يفرز مشاريع فكرية جديدة تتجاوز الإسلام السياسي التقليدي، وتعيد تشكيل العلاقة بين الدين والسياسة على أسس أكثر عقلانية وتعددية. وهو سيناريو يفرض تحدياً وجودياً على الحركات الإسلامية، ما لم تحسن إدارة التنوع داخل بنيتها الفكرية والتنظيمية.

من هنا تكشف لنا التحولات التي مر بها الإسلام السياسي المعاصر، ولا سيما تجربة حركة حماس، عن مسار متغير ومركب في العلاقة بين المرجعية الإسلامية ومتطلبات الدولة الحديثة. فبين الشمولية الأيديولوجية والواقعية السياسية، وبين الالتزام بالثوابت والانفتاح على التعددية، تسير الحركات الإسلامية نحو مراجعات عميقة، بعضها بنيوي، وبعضها لا يزال في طور التردد والتجريب.

تعكس السيناريوهات المطروحة صورة المستقبل الممكن لهذه الحركات، بين خيار الاندماج العقلاني في النظام السياسي، أو الانسحاب إلى العمل المجتمعي، أو إعادة البناء الفكري، أو الاستمرار في الصراع الداخلي. ولا يمكن فهم هذه السيناريوهات إلا من خلال قراءة دقيقة للسياقات السياسية والاجتماعية، ولمدى قدرة هذه الحركات على إعادة إنتاج خطاب متجدد يحقق التوازن بين الأصالة والمعاصرة.

إن مستقبل الإسلام السياسي مرهونٌ بمدى قدرته على استيعاب التحولات العالمية، وبناء مشروع سياسي يستند إلى الشرعية الأخلاقية والمجتمعية، لا إلى الشعارات أو القسر. كما أن بناء نظرية سياسية إسلامية متكاملة، تركز إلى المقاصد والقيم، يشكل التحدي الأكبر الذي لا يزال بانتظار مفكرين وممارسين قادرين على تجسير الهوية بين النص والواقع، بين الهوية والحداثة، وبين الحركات والدولة.

الفصل الرابع: النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

- أظهرت تجربة حركة حماس تحولاً معرفياً واضحاً في بنيتها الخطابية من الطابع الأيديولوجي المغلق (كما في ميثاق 1988) إلى خطاب براغماتي سياسي (كما في وثيقة 2017)، وهو ما يُثبت القابلية الديناميكية للإسلام السياسي للتكيف مع شروط الدولة الحديثة.
- بيّن تحليل البرنامج الانتخابي لحماس (2006) أن الحركة قدّمت تصوراً مؤسساتياً لعمل الحكومة، شمل 18 محوراً إدارياً وتشريعياً واقتصادياً، وهو ما يعكس استعدادها للتعامل مع الدولة بوصفها نظاماً مدنياً لا مجرد أداة للمقاومة.
- أوضحت الدراسة أن الخطاب السياسي لحماس بعد 2006 أصبح يتضمن مفاهيم مثل التعددية والمواطنة والدولة المدنية، ما يشير إلى تحول في البنية المرجعية باتجاه قيم ديمقراطية - ولو جزئية - في مقابل الخطاب التقليدي الذي يرفض هذه المفاهيم بوصفها غريبة المنشأ.
- تؤكد مراجعة تصريحات قيادات الحركة (خالد مشعل، أحمد يوسف) أن هذا التحول في الخطاب لم يكن تكتيكياً فقط، بل يمثل قناعة فكرية جزئية بتجاوز الطرح العقائدي الشمولي نحو خطاب قابل للتفاوض السياسي.
- تظهر التجربة العملية لحماس في الحكم (2007-2021) وجود فجوة بين الخطاب والممارسة، حيث لم تتمكن الحركة من تجسيد خطابها البراغماتي في منظومة حكم ديمقراطية كاملة، ما يشير إلى أن التحول المعرفي لا يزال قيد التشكل، ويعاني من عوائق بنيوية داخلية وخارجية.
- مرّ الإسلام السياسي بتحوّلات فكرية عميقة، نقلته من الطرح الشمولي المؤسّس على الحاكمة والدولة الإسلامية إلى خطاب أكثر براغماتية وتعددية.
- تشكّلت هذه التحوّلات نتيجة لتجارب سياسية عملية، ومراجعات فكرية داخلية، وضغوطات اجتماعية وسياسية متنوعة.

ثانياً: التوصيات

- توصى الدراسات المستقبلية بالتركيز على البنية المعرفية الداخلية للحركات الإسلامية، وذلك عبر تحليل المفاهيم التي تستخدمها في خطاباتها وبرامجها، مثل الدولة، المقاومة، المواطنة، وذلك بهدف تجاوز التحليلات السياسية السطحية إلى مقاربات معرفية أعمق.
- الحاجة إلى تطوير أدوات منهجية متعددة التخصصات تجمع بين تحليل الخطاب السياسي، والأنثروبولوجيا السياسية، والمقاصد الشرعية، لفهم الحركات الإسلامية ليس فقط كفاعلين

- سياسيين، بل كمشاريع فكرية حية في تحول دائم.
- ضرورة بناء نماذج مقارنة بين حركات الإسلام السياسي المختلفة في العالم العربي (كحماس، الإخوان، النهضة)، لفهم محددات التحول المعرفي لديها، ومتى يكون هذا التحول بنويًا أو سطحيًا، وذلك في ضوء السياقات الوطنية المختلفة.
- تشجيع دراسات الحالة الدقيقة للحركات الإسلامية في السلطة، والتي تُظهر التوتر بين المرجعية الأيديولوجية ومتطلبات الحكم، مع التركيز على تحليل البرامج الانتخابية والتصريحات الرسمية باعتبارها وثائق خطابية دالة على التحول.
- الدعوة إلى إنتاج نظرية سياسية إسلامية جديدة تستند إلى فقه الواقع، والمقاصد الكلية، وتُرَاعَى تحديات الدولة الحديثة، وتتجاوز الثنائية بين «الحكم الشرعي» و«الحكم الوضعي»، بما يفتح المجال لتجديد الفكر السياسي الإسلامي بعيدًا عن القطيعة والتجزؤ.

ثالثًا: مقترحات لأبحاث مستقبلية

- دراسة مقارنة بين التحولات الفكرية في الإسلام السياسي السني والشيعي.
- تحليل الخطاب السياسي لحركات إسلامية غير عربية في آسيا وإفريقيا في ضوء ما بعد الإسلامية.
- استكشاف العلاقة بين الإسلام السياسي والنسوية الإسلامية: التوترات والآفاق.
- دراسة دور وسائل الإعلام في إعادة تشكيل خطاب الحركات الإسلامية بعد الثورات.
- تحليل مقارن بين وثيقة حماس 1988 و2017 وتأثير ذلك على التحولات السياسية في غزة.

الخاتمة العامة للبحث

إن دراسة التحولات الفكرية والمعرفية في الإسلام السياسي تُظهر بوضوح أن هذه الظاهرة ليست جامدة أو أحادية الاتجاه، بل إنها حركية وديناميكية، تتأثر بالواقع وتتفاعل معه وتعيد صياغة أدواتها وخطاباتها بشكل مستمر. لقد بيّن هذا البحث أن الحركات الإسلامية، رغم ما تواجهه من تحديات، باتت أكثر وعيًا بضرورة تجديد خطابها السياسي، والتفاعل الإيجابي مع مفاهيم مثل الدولة المدنية، والمواطنة، والشرعية التوافقية.

ويظل مستقبل الإسلام السياسي معلقًا على مدى قدرته على تجاوز الجمود الفكري والانفتاح على الأسئلة المعاصرة، دون أن يفقد أصالته أو ارتباطه بالقيم الكبرى التي يُبشّر بها الإسلام كدين حضاري إنساني شامل.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

- أبو لطيفة، ديمة .(2020) مفهوم التعددية السياسية في الفكر الإسلامي المعاصر: حركة المقاومة الإسلامية (حماس) أنموذجاً «دراسة تحليلية»، رسالة دكتوراه، جامعة السلطان زين العابدين. ماليزيا.
- بشارة، عزمي (2012). الدين والعلمانية في سياق تاريخي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- جدعان، فهمي (2010). تحولات الفكر الإسلامي، الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- حماس .(2006) برنامج قائمة التغيير والإصلاح للانتخابات التشريعية الفلسطينية، المكتب الإعلامي لحركة حماس.
- رزقة، يوسف (2017). الرؤية السياسية لحماس، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- السيد، رضوان (2014). الأمة والجماعة والسلطة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.
- العلواني، طاهر (2017). الحقيبة المعرفية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي.
- الغنوشي، راشد (2016). الحريات العامة في الدولة الإسلامية، مركز دراسات الوحدة العربية.
- المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات (2017). الإسلاميون ونقد الدولة الوطنية.
- المسيري، عبد الوهاب (2002). العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق.
- مركز الجزيرة للدراسات. (2014) تحولات الإسلاميين بعد الربيع العربي.
- هويدي، فهمي . (1998) الإسلام والديمقراطية: بين التوافق والقطيعة ، دار الشروق.
- وثيقة المبادئ والسياسات العامة لحركة حماس. (2017) استرجعت من <https://hamas.ps> :
- وثيقة المبادئ والسياسات العامة لحركة حماس، والتي تمثل تحديناً للميثاق التأسيسي للحركة (د.ت). استرجعت من <https://hamas.ps> :

ثانياً: المراجع العربية المترجمة

- Abu Latifa, D. (2020). The concept of political pluralism in contemporary Islamic thought: The Islamic Resistance Movement (Hamas) as a model (An analytical study), Doctoral dissertation, Sultan Zainal Abidin University. Malaysia.
- Al-Alwani, T. J. (2017). The epistemological toolkit. International Institute of Islamic Thought (IIIT).
- Arab Center for Research and Policy Studies. (2017). Islamists and the critique of the nation-state.
- Bishara, A. (2012). Religion and secularism in a historical context. Arab Center for Research and Policy Studies.
- Document of General Principles and Policies of the Hamas Movement (2017). Retrieved from: <https://hamas.ps>
- Document of general principles and policies of the Hamas movement, which represents an update of the movement's founding charter (n.d). Retrieved from: <https://hamas.ps>
- Al-Ghannouchi, R. (2016). Public freedoms in the Islamic state. Center for Arab Unity Studies.
- Hamas (2006). Electoral platform of the Change and Reform list for the Palestinian legislative elections. Hamas Media Office.
- Huwaidi, F. (1998). Islam and democracy: Between compatibility and rupture. Dar Al-Shorouk.
- Jaddan, F. (2010). Transformations of Islamic thought. Arab Network for Research and Publishing.
- Al-Jazeera Center for Studies. (2014). Islamists' transformations after the Arab Spring.
- Al-Messiri, A. W. (2002). Partial secularism and comprehensive secularism. Dar Al-Shorouk.
- Rizqa, Y. (2017). Hamas's political vision. Al-Zaytouna Centre for Studies and Consultations
- Al-Sayyid, R. (2014). The Ummah, the community, and authority. Arab Center for Research and Policy Studies.

ثانياً: المراجع الأجنبية

- Al-Anani, K. (2021). The limits of pragmatism: Ideological shifts in Hamas. *Journal of Middle East Politics*, 12(3): 45–66.
- Ayoob, M. (2008). *The many faces of political Islam: Religion and politics in the Muslim world*. University of Michigan Press.
- Bayat, A. (2007). *Islam and democracy: What is the real question?* Amsterdam University Press.
- Bayat, A. (2013). *Post-Islamism: The changing faces of political Islam*. Oxford University Press.
- Brown, N. J. (2013). *When victory becomes an option: Egypt's Muslim Brotherhood confronts success*. Carnegie Endowment for International Peace.
- Enayat, H. (2005). *Modern Islamic political thought*. I.B. Tauris.
- Gunning, J. (2008). *Hamas in politics: Democracy, religion, violence*. Columbia University Press.
- Hallaq, W. B. (2013). *The impossible state: Islam, politics, and modernity's moral predicament*. Columbia University Press.
- Hamas. (2017). *Document of general principles and policies*. Official website.
- Hamid, S. (2022). *The problem of political Islam in Tunisia*. Brookings Institute.
- Hroub, K. (2006). *Hamas: A beginner's guide*. Pluto Press.
- Mishal, K. (2017). *Public statement on the release of the Hamas 2017 document [Speech transcript]*.
- Roy, O. (2004). *Globalized Islam: The search for a new Ummah*. Columbia University Press.
- The Times. (2023, October 10). *Gaza erupts as Hamas faces public criticism after the Israeli response*. The Times.
- Wilson Center. (2023). *Hamas at a crossroads: Between isolation and regional shifts*. Middle East Program Reports.
- Yousef, A. (2017). *Reflections on the Hamas Charter and the 2017 document*. Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations.